المتصوفة والسلطة في العصر المريني (٦٦٨هـ/١٢٦٨م-٨٦٩هـ/١٤٦٩م)

د/ محمد كمال كامل محمد

تمهيد

حظي المتصوفة في عصر بني مرين بمكانة كبيرة ، ويرجع ذلك إلي أن السلطة المرينية منذ اعتلائها عرش البلاد قد اتخذت موقفاً إيجابياً تجاه الصوفية ، رغم أن الصوفية كان لهم تدخلات في أمور تهم الرعية لدي السلطة الحاكمة ، ورغم أن هذه التدخلات لم تكن تصادف دائماً هوي وقبول لدي بعض السلاطين ، إلا أنهم كانوا يلبون متطلباتهم ويقبلون بشفاعتهم في بعض الأمور التي كانوا يتدخلون فيها لإزالة ظلم ، أو صون حق مهضوم ، أو رفع بعض الضرائب والمكوس عن كاهل الناس ، ولقد تمتع الصوفية بتلك المكانة بسبب ورعهم وزهدهم وعلمهم ، الذي لم يبتغوا به عرض الدنيا الزائل ، لذلك اعتقد الناس في كراماتهم وانبهروا بشخصياتهم ، حتى صاروا الملاذ لكل مكروب ، والمفر لكل من أثقلته نفسه بالذنوب والمعاصي ويريد الرجوع إلي الله عزوجل فقد ذهب البعض إلي أن المرينيين خلال عصر السلاطين الكبار بداية من عصر السلطان أبو يوسف يعقوب (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) إلي عصر السلطان أبي عنان المتوفي عام ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م لم يبذلوا جهداً كبيراً من أجل بلورة سياسة واضحة إزاء المتصوفة ، فقد اقتفوا أثر سابقيهم في هذا المجال ، بإبراز مظاهر الاعتناء بالصوفية ، وبذل العطاء لهم ، وتوفير حاجاتهم إلي المال وتشييع جنازاتهم [١] والأمثلة علي ذلك كثيرة فقد كان السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (٦٥٦- ٦٨٥هـ/ ١٢٥٨- ١٢٨٦م) [٢]، يحب الأولياء من المتصوفة ، فقد ذكر التلمساني أنه كان يُحكي عنه حكايات غريبة في موالاته الصالح التاهرتي وبنيه بعد موته ، وفي سلامه عليهم وإيثاره لهم ، وكذلك لورثة ولي الله أبي محمد صالح ، وحكايته حين وشي إليه بأحدهم ، أنه استمال قلوب الكافة واجتمع الملأ من أهل الجبال والأقاليم علي قوله ، والرجوع إليه في كل شئ ، فأجاب السلطان أبو يوسف قائلا : " بركة جدهم تصلحنا وتصلحهم ، وجدهم حكم بيننا وبين من يريد السوء بنا منهم " فكفاه الله سوء التعرض له ، وانعكست القضية فكان أقرب أوليائه إليه[٣].

وهذا إن دل إنما يدل علي مدي ذكاء السلطان ، وعدم سماعه لكلام هؤلاء المغرضين الذين يحاولون النيل من رموز الأمة في الدين والصلاح ، كما يدل علي طبيعة أبي يوسف الدينية ، حيث كان شديد الحب للعلماء ورجال الدين .

وسار علي نهجه ابنه السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق(٦٨٥ – ٧٠٦ هـ / ١٢٨-١٣٠٦م) [٤].الذي كان محباً للصوفية كثير التقرب منهم ، فقد كان المتصوف أبو عمران بن

أبي زكريا ، من أكثر المقربين إليه ، إذ كان من أولياء الله الصادقين والأئمة المعتمدين ، جمع بين الشرف والعلم والولاية وقد كان السلطان يوسف محباً له[٥].

وبلغ الصوفية أيضاً في عهد السلطان أبي الحسن المريني مبلغاً كبيراً (٧٣١ – ٧٥٢هـ / ١٣٣٠-١٣٥١م) .[٦]

فقد روي أنه لما استولي علي تلمسان ، أنزل الصوفية الذين كانوا فيها منزلة رفيعة ، كما روي أنه كان يستكثر من أهل العلم في دولته ، ويجري عليهم الأرزاق ويعمر بهم مجلسه[٧].

كما كان التصوف علم يدرس في عهده ، ولا يبدو متنافراً مع تحصيل الدين أو الفقه ، وكان الناس يتلقون العلم في مدينة العُبَّاد[٨]بتلمسان ، ويعيشون في عزلة ، وقد زُود هذا المكان بالمنشآت الدينية ، بفضل سخاء أبي الحسن المريني الذي عمل منذ أن استولي علي تلمسان عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧ م علي بناء مسجد كبير ضمه لضريح أبو مدين شعيب المتوفي عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٧ م ، وقام بإنشاء مدرسة وحمامات وملحقات أخري ، لقد أبدي الحسن المريني بهذا العمل تعظيمه الشخصي للمتصوف الشيخ أبي مدين ، وربما كان يحاول استرضاء رعاياه الجدد التلمسانيين ، بتمجيد ذكرولي مدينتهم ، إذ كانت حماية المتدينين عنصراً من عناصر سياسة المرينيين منذ بداية حكمهم[٩]

فلم يكن أمام الحكومة المرينية الجديدة ، وهي تحاول التغلب علي مشكلات هذه الجبهة خيارات كثيرة ، لذلك كانت أفضل فرصة متاحة هي التحالف مع المالكية ، أو حتى التحالف مع فرقة صوفية أخري ، ويؤيد هذا الرأي أنهم حاولوا أن يختلطوا بالصوفية المشهورين ، سواء بغرض الجهاد ، أولأنهم كانوا يعيشون في فجر القرن الثامن الهجري الذي كان يعتبر قرناً محورياً ، ومن ناحية أخري كانت الجماعات الصوفية التي انتظمت في فرق تحت إشراف الفرق الكبرى ، مثل طائفة الحجاج ، أنها لم تكن لها دخل بصراعات السلطة وعاشت محدودة بحدود أراضيها[١٠]

لقد كان معظم سلاطين بني مرين يحترمون الصوفية ويعظمونهم ، خصوصاً عندما يعلمون فضلهم ومنزلتهم ، فقد روي أن الشيخ إسحاق بن مطهر الأعرج[١١]وقع بينه وبين معاصريه من فقهاء فاس منازعة في مسألة فقهية ، كان الصواب فيها قائده والإصابة رائده ، فتحزب طلبة من البربر في ذلك فرقاً ، فوشي بالطلبة عند السلطان ، وقيل له : إن طلبة البربر يريدون المخالفة والخروج عليه ، لكثرة عنادهم واستطالة ألسنتهم ، فأمر السلطان يعقوب بن عبد الحق بنفي

الفقهاء ، وكان منهم إسحاق بن مطهر الأعرج ، وكان الذي تولي نفيهم صاحب الشرطة ، فقيل إنه توفي بعدها بمرض أصابه ، فلما بلغ الخبر السلطان بأنهم براء ممـــا نسب إليهم ، أمر بردهم ، وصار السلطان بعد ذلك يعظمهم ، وخاصة الصوفي الكبير إسحاق بن الأعرج ، حتى أنه أراد لقاءه فامتنع عنه[١٢]ويتضح من تلك الرواية أن كبار الصوفية في العصر المريني ، نظراً لما نالوه من مكانة كبيرة في المجتمع ، كان عليهم عيون ترصدهم ، وتحقد عليهم وتسعي بهم إلي أولي الأمر ، لكن سلاطين بني مرين كانوا يعرفون لهم قدرهم ، لذلك كانوا حذرين تجاه أي وشاية تأتي من أي حاقد عليهم ، وعندما تظهر براءتهم نجدهم يتوسلون إليهم للعفو عنهم ، مثلما حدث مع الشيخ إسحاق السالف الذكر ، فقد تردد عليه السلطان يعقوب بن عبد الحق كثيراً ليصفح عنه ، فيعرض عنه الشيخ ، بل لقيه السلطان يوماً في صلاة الجمعة في جامع القرويين ، فقام إليه وعانقه ، ثم قعد معه فقال له السلطان : أسألك عن ثلاث مسائل ؟ فقال له :" لا فائدة لك في السؤال فإنك لا تعمل بالجواب ، فألح عليه فأبي وقال له : عد عن هذا فما أجيبك بشئ . فقال له السلطان : ادع لنا ؟ فدعا له وانصرف[١٣]

وقد كان للصوفية شأن عظيم في عهد السلطان أبي عنان المتوفي عام ٧٥٩هـ/١٣٥٧م[١٤]، فالشيخ أبو عبد الله محمد بن موسي الحلفاوي كان له شأن عظيم في عهده ، إذ كان يعظمه ويؤثره ويعينه علي الأخذ علي أيدي المعتدين المرتكبين ما نهي عنه الدين[١٥].

كما روي أن المتوكل علي الله السلطان أبي عنان ، أعطي الصوفي ابن الشاطر محمد بن الجمحي[١٦]ألف دينار ليحج بها ، فمر بها إلي تلمسان ، فصار يدفع منها شيئاً فشيئاً للناس إلي أن نفذت ، فلما ورد السلطان لقيه بسوق العطارين فقال له : يا سيدي أبا عبد الله حج مبرور فقال له : إذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ويأبى الله إلا أن ينفق الخبيث في مثله فضحك السلطان وانصرف[١٧] وهذا دليل واضح علي مدي ما كان يتمتع به الصوفية في عصر السلطان أبي عنان من مكانة ونفوذ ، فبالنظر إلي موقف السلطان من ابن الشاطر يدل علي سعة صدر السلطان ، ومدي تقبله لكلام هذا الصوفي الذي يأبى أن يحج بمال شك في مصدره . ونلاحظ أيضاً موقف السلطان أبي عنان الهادئ تجاه كلامه ، فلم يسعه إلا أن ضحك وانصرف ، هذا لعلمه أن الشيخ يتوخى الحذر في أكل الحلال والزهد في مال السلطان.

لقد كان السلطان أبو عنان حريصاً علي الإطلاع علي أثار الصوفية ، إلا أنه كان يكرم المعتدلين منهم ، الذين اكتفوا بأن لا يتجاوز تصوفهم الكتاب والسنة إلا بمثقال ذرة[١٨].

وقد كان هناك فئة أكبر مغامرة وأمعن في الشذوذ ، إلا أنهم لم يكن لهم في حاشية السلطان مكان [١٩]، وهذا إن دل إنما يدل علي سعة أفق السلطان وعلمه ، ومعرفته بالمتصوفة الذين كانوا لا يحيدون عن السنة طرفة عين ، من هؤلاء الذين ابتدعوا في الإسلام فضلوا وأضلوا.

كما بلغ من حب أبي عنان للصوفية ولاسيما الصوفي أحمد بن عاشر الأندلسي [٢٠] أنه كان يكرم أخته التي كانت تعيش في مكناسة ، فكان يجري عليها النفقات تقديراً لهذا الشيخ وإجلالاً له[٢١] .كما كان متشيعاً في حب آل البيت موسعاً عليهم في المرتبات[٢٢] .

كما كان السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أحمد المريني المتوفى عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م ، كثير الصدقة والشفقة ، رقيق القلب منقبضاً عن الغدر، متوقفاً في سفك الدماء ، فرق الأموال علي العلماء والأشراف والصوفية وطلبة العلم[٢٣] .

إذاً يتضح مما سبق ذكره ، أن الاهتمام البالغ الذي حظي به الصوفية في عصر بني مرين من قبل أمرائهم ، أكسبهم شرعية قوية في ممارسة عباداتهم ، كما جعل لهم هذا الاهتمام شأن كبير في المجتمع ، وبطبيعة الحال ساعد هذا علي انتشار التصوف في المجتمع المغربي بصورة كبيرة .

أولا – علاقة المتصوفة بالسلطة السياسية

لم تكن العوامل السياسية في يوم من الأيام ، أوفي فترة من الفترات ، هي المحرك الأول لجميع الأحداث ، بل قد تتغير السياسة بسبب حدث من الأحداث ، أو حركة من الحركات التي تقوم في المجتمع ، وتعد السياسة في أي دولة من الدول ، عبر أي عصر من العصور ، هي نتاج سياسات معينة ، أو حركة شعبية داخلية ، أو تدخلات خارجية من شأنها أن تقحم الدولة في صراعات قد تودي بحياتها ، ويظهر علي أنقاضها دولة أخري .

وقد تنتهج بعض الدول سياسات معينة ضد أي حركة شعبية ، من شأنها أن تؤثر علي السلطة السياسية ، أو تهدد كيانها ، ومنها ما ينتهج سياسة المداهنة فيتحالف مع أي حركة شعبية ويحتويها قبل أن يستفحل أمرها ، وتؤثر علي النظام المعمول به في الدولة ، وتحقق ذلك مع الصوفية في عصر بني مرين .

فمن الملاحظ أن دولة بني مرين ، قد حاولت منذ بداية أمرها ، أن تضع نفسها في إطار الصلاح ، لوعيها علي ما يبدو بأهمية العمل علي هذه الوجهة . فقد نسب المؤرخون لجدهم عبد الحق جملة من الكرامـات ، التي لا تختلف في شيء عما يأتيه غيره من الصوفية ، وبني أبناؤه من بعده الزوايا واهتموا بها وأغدقوا عليها الأموال والهبات والعطايا [٢٤]، وجعلوا لقاطنيها من الصوفية المرتبات والجرايات [٢٥].

كما دأب سلاطين بنو مرين علي إظهار اهتمامهم بأحوال المتصوفة ، فقد كانوا لا يجدون حرجاً في الإقبال عليهم ، رغبة في الزيارة أو طلباً للدعاء ، بل نجدهم يسكتون أحياناً عما يقابلون به من صد وامتناع عند استقبالهم ، ويكتفون منهم بالدعاء والنصح ، أو ببراءات يقنعون بها عن رؤيتهم . وسواء انتهي الأمر باتصال مباشر أو بالحصول منهم علي أثر مكتوب ، فإن قصد السلاطين يكون قد تحقق [٢٦].

ومن مظاهر الاهتمام بالصوفية من قبل السلطة السياسية ، أنهم كانوا يصبرون علي صدهم لهم ، وعدم اكتراثهم بهم ، وهذا يدل علي مدي تمتع هؤلاء الصوفية في ذلك الوقت بمكانة كبيرة ، جعلت السلطة السياسية تخشاهم وتخشي غضبهم .

فقد كان السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني المتوفي عام ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م شديد الحب لأحد الصوفية الذي كان يقطن مدينة تاهـرت [٢٧] ، وهو من أبناء الصوفي الكبير أبي محمد صالح ، هذا الرجل وشي[٢٨] به أحد الناس إلي السلطان يعقوب بن عبد الحق بأنه استمال قلوب الكافة ، وأن الملأ من أهل الجبال والأقاليم قد اجتمعوا علي قوله ، والرجوع إليه في كل شيء ، فما كان من السلطان إلا وأخرس تلك الألسنة التي تريد أن تعكر صفو العلاقة التي تربطه بهذا المتصوف فقال : " بركة جدهم تصلحنا وتصلحهم ، وجدهم حكم بيننا وبين من يريد السوء بنا منهم " [٢٩].

كما كان هذا السلطان شديد الحب للصوفي إسحاق بن مطهر الأعرج [٣٠]، الذي لقيه السلطان يوماً في صلاة الجمعة في جامع القرويين ، فقام إليه وعانقه ، ثم قعد معه فقال له السلطان : أسألك عن ثلاث مسائل ؟ فقال له : لا فائدة من سؤالك فإنك لا تعمل بالجواب ، فألح عليه فأبي [٣١]. كما كان ولده السلطان يوسف بن يعقوب من أشد السلاطين حباً للصوفية لاسيما الصوفي أبي عمران بن أبي زكرياء[٣٢].

وفعل مثله السلطان أبو سعيد المريني (٧١٠- ٧٣١ هـ / ١٣١٠ – ١٣٣٠) الذي كان شديد الحب أيضا للصوفية ، كثير التقرب منهم ، اجتمع يوماً بالصوفي الكبير ابن البناء المراكشي ، فسأله عن ميقات عمره ، فأجابه قائلاً: أن موته عند اشتغاله ببناء موضع في قبلة تازا فكان كذلك [٣٣].

وقد كان مقرباً للصوفي عمر بن موسي الرجراجي [٣٤]، استدعاه يوماً هو والشيخ ابن عباد وسيدي يوسف الأغصاوي فأعد لكل واحد منهم كسوة ومائة دينار، فأكل ابن عباد ولبس ، واعتذر يوسف بالصوم ولبس وتـزود ، أما عمر بن موسي ما أكل ولا لبس زهداً في حاجة السلطان [٣٥].

أما في عهد السلطان أبي الحسن المريني (٧٣١ – ٧٥٢ هـ / ١٣٣٠ – ١٣٥١ م) فقد بلغ المتصوفة في عهده مبلغاً عظيماً ، فقد كان يقربهم ويعطف عليهم وينزلهم منازلهم . فقد روي أنه عندما فرغ من استيلائه علي تلمسان ، مر بجيشه بين طرقاتها يتفقد أحوالها ، فقابله في الطريق المتصوف الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الجزولي [٣٦]، وهو راكب علي دابته ، فلما رآه السلطان أشار عليه بأن لا ينزل من علي دابته ، لكن الشيخ نزل فلما رآه السلطان قفز من علي عرشه المحمول إلي الأرض ، وعانق الشيخ عناقاً طويلاً ، ثم تولي بنفسه حمله علي دابته ، وقبَّل كل منهما الأخر [٣٧]

ولا شك في أن هذا الإجلال وهذا التبجيل من جانب السلطان لهذا الصوفي الكبير، كان له مردود نفسي عند من كان معه في الجيش ، وهذا بالطبع أدي إلي ارتفاع مكانة الصوفية في كل مكان ، بعد أن تناقل الناس خبر تبجيل السلطان لهذا الصوفي .

كما أمر السلطان أبو الحسن ببناء مسجد كبير عند ضريح الشيخ أبي مدين في مدينة العُبَّاد بتلمسان ، تقديراً لهذا الشيخ الجليل [٣٨]. وكان أبو الحسن المريني دائماً وأبداً يحب استقبال مشايخ الصوفية ، ويسعى سعياً حثيثاً إلي مقابلتهم والتبرك بهم ، فقد دخل عليه أحد الصوفية في أحد مجالسه ، فترك المجلس وقام لملاقاته فعانقه وأجلسه إلي جواره [٣٩].

وعندما كان ينزل مراكش ، كان يُصر علي أن يلتقي بالصوفية المشهورين بها ، فذات مرة أراد أن يقابل الشيخ الصوفي الكبير أبا عبد الله الكومي الضرير المراكشي ، فقال لأحد رفقائه كيف العمل في الاجتماع بهذا الرجل الصالح ؟ فقال له : كما تأمرنا يا سيدي فقال السلطان : تتوجه إليه أنت والفقيه أبو علي ابن تدرارات ، وتعرضون عليه الاجتماع به ، إما أن نأتيه أو يأتينا ، فذهبوا إليه فلما دخلوا عليه قال : أهلا وسهلا بسيدي الخطيب وسيدي الفقيه ، يا سيدي الفقيه : بماذا أمر سيدنا أمير المؤمنين ؟ فقال الفقيه : هو ما علمت يا سيدي ، فقال : الفقراء أحق بالوصول إليه ، ولكن علي شروط ثلاثة . أولهما أن يكون هذا اللقاء أولا وآخرا لا ثاني له ، والشرط الثاني أن لا يعرض علي شيئاً من متاع الدنيا . والشرط الثالث أن لا يعرض علي أولادي ما يخرجون به عن مذهبي . فقلنا له : سمعاً وطاعة ، فأخبروا السلطان أبي الحسن بشروطه فقبلها [٤٠].

وهذا إن دل إنما يدل علي مدي ما بلغ الصوفية من مكانة في عهد السلطان أبي الحسن المريني ، خولتهم لأن يفرضوا علي السلطان شروطاً لكي يقابلهم ويستمتع بالجلوس معهم ، وقد ذكر التلمساني مدي الحفاوة التي قدمها السلطان أبي الحسن لهذا الصوفي ، عندما قدم لزيارته . فقد رفض السلطان أن يخلع الشيخ نعله ، وأتي بأبنائه وطلب منه أن يدعوا لهم ففعل ، فلما هم الشيخ بالخروج ، حمل السلطان نعله وقدمه إليه ، وسايره بطول داره حتي خرج منها وودعه . [٤١]

وقد كان الصوفية أنفسهم من الذين تعلقت أفئدتهم بحب هذا السلطان ، إذ روي أنه لما قدم موكب السلطان إلي إحدي المدن التي كان يقطن بها الصوفي عبد الرحمن بن عفان

الجزولي ، وعلم هذا الرجل بقدوم السلطان ، خرج لملاقاته وكان رجلاً مسناً ، فسقط عن دابته فتضعضعت أركانه . (٤٢)

وفي إحدى زياراته لمدينة آسفي ، قصد الشيخ أبا زيد الهزميري ، وكان من أولياء الله الصادقين ، وكان دائما وأبدا ما يقيم بمسجد آسفي ، فلما وصل السلطان أبو الحسن ، وطلب منه أن يوصيه فأوصاه وأفاده ودعا له ، وأراد السلطان أبو الحسن لما رأي عليه ثياب رثة أن يهديه بثوب جديد فأبي الشيخ وقال : يا أمير المؤمنين هذه الجبة لها علي نحو من عشرين عاما ، وكأنها لم ينتصف فيها اللباس ، ومن البعيد أن يبقي من العمر قدر ما مر عليها ، وأنا اليوم ناهز الثمانين ، ثم عرض عليه السلطان أن يرفع المغارم عن أملاك بعض أقاربه ، أو أن يكتب له بعض الأملاك لينتفع بها ، لكن الشيخ أبي وقال : " أنت فيما زعمت أردت أن ترانا لتنتفع بنا ، وما جزاؤنا أن تضرنا وليس لنا لمخلوق ولا لما بيد مخلوق حاجة " (٤٣). وتذكر المصادر أن هذا الشيخ وأخاه عبد الكريم الهزميري كانا من خواص السلطان أبي الحسن.

ودخل علي السلطان أبي الحسن يوما وهو بسبتة شيخ صوفي يعرف بعثمان بن أبي عفيف ، مرابط من تيكطين من أحواز مراكش ، وهم أهل بيت وصلاح ، فلما دخل عليه تزحزح له وأزال المخدة عن يمينه، تكريما وتقديرا لهذا الصوفي الكبير، فلما خرج قال السلطان أبي الحسن لجلسائه هذا رجل تعلق بجناب الله فوجب إكرامه . (٤٤) وقد كان الصوفي محمد بن علي بن عبد الرحمن الجزولي معظما لدي السلطان أبي الحسن المريني ، شديد الحب والإيثار له . (٤٥)

وتجدر الإشارة إلي أن السلطان أبي الحسن كان يتفقد أحوال الصوفية بنفسه ، ويقضي حاجاتهم ، فعندما رأي الصوفي حسن بن علي والد الشيخ ابن قنفذ ، لا يستطيع السير أعطاه دابة ، ليستعين بها علي التنقل ويقضي عليها حاجاته (٤٦).

ولم يقتصر اهتمام السلطان أبا الحسن بزيارة الأحياء من الصوفية ، بل كان كثير الزيارة للموتي منهم ، ففي مراكش كان يزور الولي أبي العباس السبتي ، والقاضي أبا الفضل عياض ، وبأغمات أبا عبد الله الهزميري ، وبآسفي أبا محمد صالح الماجري ، وبأزمور من اشتملت عليه منهم ، ويكثر بفاس زيارة القاضي أبي بكر بن العربي ، وأبي زيد الهزميري ، وبتلمسان أبي مدين شعيب وابن غزلون . (٤٧)

وصار علي نهجه السلطان أبو عنان (٧٥٢ – ٧٥٩ هـ / ١٣٥١ – ١٣٥٧) فقربهم إليه واهتم بشئونهم ، وحرص علي لقائهم والانتفاع بهم ، وقد بلغ الصوفي أبو عبد الله محمد بن موسي الحلفاوي [٤٨] مبلغا عظيما في عهده ، إذ كان يعظمه ويؤثره ويعينه علي الأخذ علي أيدي المعتدين ، المرتكبين ما نهي عنه الدين . [٤٩]

وحاول السلطان أبو عنان يوما أن يلتقي بالصوفي الكبير ابن عاشر ، فلم يقدر علي لقائه حتي أن السلطان تبعه يوم الجمعة من الجامع الأعظم علي قدمه ، لما نُعت له والناس ينظرونه ، وهو لا يراه فرجع عنه السلطان . [٥٠]

ولما علم هذا الصوفي حرص السلطان علي زيارته ، أرسل له رسالة تضمنت أربع صفحات ، منها قوله : " الحمد لله : من العبد الفقير إلي الله تعالي أحمد بن عاشر ، إلي أمير المؤمنين أبي عنان أيده الله بتقواه ، فإني لم أكن للزيارة أهلا ولا للغربة محلا ، وإنما سترني الكريم بفضله ولطفه بل بحلمه ، ولله الحمد علي نعمه الظاهرة والباطنة ، وليعلم أمير المؤمنين أنه لا يخلصه أحد من خدامه ، ولا من حشمه ، بل يفرون منه يوم القيامة ، ويفر منهم ولا عليك في هذا الأمر إلا أن تراقب الله تعالي وأنت مقبل علي الله عزوجل " [٥١].

وهكذا حاول هذا الصوفي أن يطيب خاطر السلطان بهذا الخطاب ، الذي أخبره فيه بأنه ليس أهلا لزيارته ، ولم ينس ابن عاشر أن يمده بالنصح ويدعو له بالخير ، واكتفي السلطان منه بهذا الخطاب ، وسعد به سعادة بالغة وأحس بأنه نال مراده برضي هذا الصوفي عنه ، بل روي أن هذا السلطان لما علم بأن أخت الشيخ ابن عاشر تقطن بمدينة مكناسة ، أجري عليها الجرايات التي كانت تعيش منها طول حياته ، تكريما وإجلالا لهذا الصوفي الكبير [٥٢].

كما كان أبو عنان شديد الحب أيضا للشيخ الصوفي محمد بن الشاطر الجمحي [٥٣]، الذي كان معتقدا عند أهل وقته ، وكان السلطان أبو عنان علي فقهه يعظمه ويصله ، روي أنه بات عنده ليلة في قصره ، وكان ابن الشاطر يدخل القصر ولا تحتجب منه الجواري ، فاحتاج إلي البول فبال في قبة عظيمة في القصر ، فانتهرته إحدى الجواري وقالت له : أتبول في قبة مولانا ؟ فقال لها : إن قبة مولانا الخضراء أعظم من هذه ، وأنا أفعل تحتها ما هو أعظم من البول وما انتهرني قط ، فذكرت ذلك الجارية للسلطان ، فضحك وعلم أنه يريد السمـــاء [٥٤].

وأعطاه يوما السلطان أبو عنان ألف دينار ليستعين بها علي أداء فريضة الحج ، فمر بها ابن الشاطر إلي تلمسان فصار يدفع منها للمحتاجين شيئا فشيئا حتي فنيت ، فلما ورد السلطان أبو عنان إلي تلمسان لقيه بسوق العطارين ، فقال له : " حج مبروريا سيدي أبا عبد الله ، فقال له : إذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ، ويأبى الله إلا أن ينفق الخبيث إلا في مثله " ، فضحك السلطان وانصرف [٥٥].

علي أية حال لقد كان السلطان أبو عنان يهدف إلي ضرب الصوفية علي أرضها ، ومن ناحية أخري رفض بعض الصوفية تقديم أي تنازلات سواء للحكومة السابقة ، أو الحكومة القائمة فقد عمد صوفية الشمال فاس وسلا ، إلي اجتناب الاتصال بالحكومة ، إلا إذا كانت له ضرورة وعلي الرغم من حتمية وجود قدر من التعايش ، فإن ابن عاشر الصوفي رفض صراحة أن يستسلم لرغبة السلطان أبي عنان في لقائه ، علي الرغم من إصرار السلطان علي زيارته ، ومن ثم كان التعايش خيالا أكثر منه واقعا بل لم يكن له وجود أصلا [٥٦].

ولكننا لا نميل إلي هذا القول الذي ينفي بالكلية وجود قدر من التعايش بين السلطة السياسية والمتصوفة ، بعكس ما ذكرته المصادر سواء في عهد السلطان أبي عنان ، أو من سبقه من السلاطين ، لدليل واضح علي وجود قدر كبير من التعايش بين كلا الطرفين ، فهذا التعظيم من جانب السلطة لهؤلاء الرموز من الصوفية ، ومبادلة الصوفية لهم بالدعاء والنصح لدليل واضح علي جو الوئام الذي كان يعيشه كلا الجانبين ، وإذا حدث ووجدنا أن بعض المتصوفة كان ينفر من لقائهم ، فإن هذا كان بمثابة النذر اليسير بجانب القاعدة العريضة من المتصوفة الذين كانوا لا يجدون حرجاً في الاتصال بالسلطة وحضور مجالسهم .

وفي عهد السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن المريني نجده أنه لم يحد عن سياسة أبيه تجاه الصوفية ، فقد كان محباً لزيارتهم والتقرب منهم ، فقصد يوماً زيارة الصوفي الكبير أبي الربيع سليمـــــان بن الشيخ أبو الحجاج يوسف بن عمر ، فجلس في جامع القرويين [٥٧]، بعد صلاة الجمعة وكلف قاضي الجماعة أبا محمد الأَوْرَبِي أن يجمعه به ، فقام باحثا عنه فلم يرضي أن يقوم معه لمقابلة السلطان ، فجاءه برجل آخر من الصالحين اسمه سليمان علي اسمه يعرف بسليمان ذي العيون ، وهو من الأخيار فقال له وزيره : ما بهذا كلفت ؟ فقال له القاضي : هذا مبارك ومن أشياخه . وطلبه السلطان مرة أخري ليراه ، فما كان من أبي الربيع إلا أن كتب له براءة قنع بها السلطان عن رؤيته [٥٨].

وقصد نفس السلطان الشيخ الصوفي أبا عبد الله محمد المشنزائي لزيارته ، فوقف إليه وفتح يسيرا من الباب وقال له : مالك عندي انصرف بالعافية ، ودخل الباب وغلقه دونه [٥٩].

بيد أنه كان هناك من الصوفية من كان لهم اتصال مباشر مع السلطة السياسية ، مثل الشيخ أبو علي الرجراجي الذي كان لا يرد زيارة السلطان له ويجلس معه ، ويحضه علي الخير وعلي رعاية من يستند إلي الله تعالي ، ويمتثل السلطان إلي ما يأمره به من أفعال البر ، كما سعي في هذا الزمان في تغيير المنكر بنفسه ، وأقام الحد علي من يري أنه مذنب ، وظهر في ذلك ظهورا كبيرا ، ويسر الله له في هذه المطالب ، وأعانه العامة والخاصة ، بحيث لو قال اقتلوا هذا لقتل قبل تمام الكلام [٦٠].

كما خولت السلطة السياسية آنذاك لهذا المتصوف ، بأن يتفقد أمر القضاء وأصحاب الأحباس ، وصارت الخاصة والعامة تحت طاعته ، لا بالتزام أمر ولا مخافة شر ، وإنما خاف الله تعالي فخاف منه كل شيء [٦١].

كما كان الشيخ أبو عبد الله الرندي لا يرد زيارة السلطان له ويحضر السماع [٦٢].

ليلة المولد عنده وهو إمام جامع القرويين وخطيبه [٦٣].

كما توجه السلطان عبد العزيز المريني (٧٦٨هـ/٧٧٤هـ – ١٣٦٦/ ١٣٧٢م) إلي الشيخ أبي عبد العزيز الصنهاجي قاصدا زيارته والتبرك به ، فاجتمع به وكاشفه بأشياء تعجب منه بسببها ، وكان لا يرد له حاجة ولذلك عظم التوسل به إليه [٦٤].

والفقيه الصوفي محمد بن أحمد المكودي المتوفي عام ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م كان من أهل فاس ، ومن ذوي الثروة كما كان أبوه أحمد يستخدمه ملوك بني مرين في شهادة الولاية المخزنية ، وكان محمد بن أحمد وجيها عند الملوك ، ومعظماً عند المالك والمملوك لا يردون له حاجة [٦٥].

ولما علم السلطان أحمد المريني (٧٧٦ – ٧٨٦ هـ / ١٣٧٤ – ١٣٨٤ م) أن بعض الناس تعرضوا للمتصوف أحمد بن الحسن الغماري [٦٦]وآذوه ففر منهم يريد الرحيل عن البلاد ، بعث إليه السلطان من يرده الي موضعه ، وبعث له قائلاً : " لو لم ترجع لخرجت بنفسي إليك حتي أردك"[٦٧].

ودخل نفس السلطان علي الشيخ الصوفي ابن بركان في شهر رمضان ، وأحد التلاميذ يقرأ عليه صحيح مسلم ، فأراد التلميذ أن يقوم فزجره الشيخ وصاح عليه لا تقطع الحديث ، ومكث الشيخ جالسا في موضعه ، فمشي السلطان إليه حتي قبل يده وجلس بإزائه ، ولم يكلمه الشيخ حتي فرغ جميع التلاميذ من القراءة [٦٨].

بل ذهب الأمر الي أكثر من ذلك في علاقة السلطة السياسية في عصر بني مرين بالمتصوفة ، فقد كانوا يستشيرونهم في أمور سياسية كبيرة ، مثل الحروب وغيرها ، مثلما روي عن علي التالوتي أن أبا فارس لما توجه الي مدينة وهران [٦٩]، في خلافة السلطان أحمد ، خاف منه السلطان أحمد كثيراً ، وهبط الي الشيخ سيدي الحسن بن مخلوف قائلا له يا سيدي : إن هذا الإنسان توجه إلينا كما علمت ، فأستشيرك علي ثلاثة أمور ، هل أذهب إليه وألقاه في الطريق ، أو أصبر حتي يقدم إلينا ، أو أذهب إلي حنين فأركب منها البحر الي الأندلس ، فقال له الشيخ : ما أدري ما أقول لك ، ولكن هناك من يشفيك في ذلك ، فأحاله إلي الشيخ الصوفي الكبير محمد الهواري [٧٠]، فبعث إليه رسولا يستفتيه في ذلك الأمر ، فقال له الشيخ : خذ من صاحبك البشارة ، وقل له إن السلطان أبا فارس لا تراه ولا يراك أبدا [٧١]، ثم كان من قضاء الله كما قال

الشيخ ، أن السلطان أبا فارس لما بلغ جبل ونشريس وطوع أهله بالقهر ، رجع علي الفور إلي تونس في شر حال ، ومات في يوم عيد بلا تقدم مرض ، ووقع الأمر كما قال الشيخ محمد الهواري[٧٢].

ولا أدل علي قوة علاقة الصوفية بالسلطة السياسية ، من تلك الرسائل السياسية الإصلاحية التي أرسلها الصوفي محمد بن إبراهيم ابن عباد الرندي المتوفي عام ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م ، إلي السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني ، يستعرض فيها ما أصاب الناس من مظالم وتعسفات ، علي يد عماله وولاته ، وتجاوزات جباة الضرائب في التعرض للمسافرين ، وفرض ضرائب غير شرعية علي التجار مثل ضريبة الرتب [٧٣]، ويمكن اعتبار رسائل ابن عباد الرندي في جملة الكتابات التي اصطلح علي أنها تندرج في باب علم السياسة ، أو علم الاجتماع السياسي ، فقد اجتهد ابن عباد في توجيه النصح للسلطان مذكراً إياه بسير السلاطين الصالحين من قبله ، وسير الخلفاء المسلمين ، وحُكم الحكماء الأولين ، معززا ذلك بنصوص من القرآن والحديث ، وأخبار التاريخ بهدف الاتعاظ والعبرة [٧٤].

وقد جاء في مقدمتها " الحمد لله والعاقبة للمتقين من محمد بن عباد إلي أمير المسلمين عبد العزيز ، أعزه الله في الدنيا والآخرة ، وأسبغ عليه نعمه الباطنة والظاهرة ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد هذه المقدمة يطالبه برفع المظالم عن كاهل الناس، فقال : " والمراد منكم أيضا بلغ الله آمالكم : أن ترفعوا مظلمة الرتب التي أحدثها أمراء الجور في طرقات المسافرين ، وتفعلوا ما فعله السلطان أبو الحسن فإنه قطعها أتم قطع ، وكذلك فعل السلطان أبو عنان في مدته، فاسلكوا أيدكم الله مسلكهما في ذلك ، وامحوا آثار هذه السنة السيئة ، ولا تدنسوا دولتكم السعيدة بتبقيتها [٧٥]. ثم يقدم له النصائح التي ترشده إلي صراط الله المستقيم ، لينال خيري الدنيا والآخرة فقال : واعلموا أن الله قد أحلكم محلا عاليا شامخا ، وأنزلكم منزلاً شريفاً باذخاً ، وملككم طائفة من ملكه ، وأشرككم في حكمه ، ولم يرضي جل وتعالي أن يكون أمر فوق أمركم ، فلا ترضوا أن يكون أحدا أولي بالشكر له منكم ، واعلموا أن الله قد ألزم الورى طاعتكم ، فلا يكن أحدا أطوع لله منكم ، فهذا ما أردنا أن نذكره لكم ، تأدية لحقكم وتشرفا بمخاطبتكم [٧٦].

وثمة أمر هام لا بد أن نشير إليه أنه علي الرغم من حرص السلطة السياسية من التقرب للصوفية ، والتزود بالدعاء منهم والتبرك بهم ، إلا أن السلطة كانت في بعض الأحيان لها توجهات ضد الصوفية ، إذا ما شعرت بأنهم سيضرون بمصالح الدولة ، فنري أن بعض السلاطين كانوا يخافون من تجمعات الصوفية والتفافهم حول مشايخهم ، فكانوا يتخذون إجراءات وقائية ، خوفاً من نشوب ثورات أو فتن ، من شأنها أن تهدد الأمن القومي للدولة ، ففعل ذلك السلطان أبو يعقوب المريني الذي قبض علي المتصوف أحمد بن صالح بن إبراهيم ، لما رأي تجمع الناس حوله ، فزجه في السجن ، وقد روي أنه لما كبلوه في الحديد تكسرت القيود عنه ، وأنه كان في السجن أزيد من سبعمائة رجل أخذهم بالقراءة ، حتي حفظوا كتاب الله عزوجل علي يده ، وكان الناس يقصدونه في السجن لتجويد القرآن [٧٧].

كما أنه لما كان تأثير الصوفية في إقليم الريف كبيراً ، اضطر ثاني ملوك بني مرين في فاس ، السلطان يوسف بن يعقوب إلي اتخاذ إجراءات لتجنب إمكان قيام ثورة شعبية ضد سلطانه [٧٨].

إذاً لم تكن علاقة المتصوفة بالسلطة السياسية في حالة وئام دائماً ، بل كان يعتريها شيء من الكدر في بعض الأحيان ، التي تري السلطة أن زيادة نفوذهم قد يضر بمصالحهم ومصالح الدولة .

ثانيا : دور المتصوفة السياسي " الشفاعة "

مما سبق يتبين لنا أن المتصوفة حظوا بمكانة كبيرة في عصر بني مرين من جانب السلطة السياسية ، فقد كانوا كثيرا ما يتدخلون لدي السلطة في إزالة حق مهضوم ، أو رفع ظلم عن كاهل الناس ، وغالباً ما كانت السلطة السياسية تستجيب لمطالبهم ، طالما أنها لا تضر بمصالح الدولة .

مثلما روي عن الشيخ يوسف بن يعقوب البويوسفي المتوفي عام (٧٦٠هـ / ١٣٥٨م) وتوفي وهو جالس في مرضه ، يمسح بيده اليمني في التيمم لصلاة العصر ، وهذا المتصوف وضع له القبول عند الأمراء الراشدين ، في قضاء الحاجات وقبول الشفاعات ، حضر يوماً عند الخليفة أمير المؤمنين المتوكل علي الله أبي العباس أحمد المريني (٧٧٦ - ٧٨٦هـ/ ١٣٧٤-١٣٨٤م) بعد صلاة الجمعة ، فتقدم إليه بحوائج للناس فقضاها له كلها [٧٩].

وروي أن هذا الشيخ أيضا كتب لأمير من الأمراء في تسريح مسجون ، فسرح الأمير كل من في السجن ، بسبب هذا السجين إكراماً لهذا الشيخ [٨٠].

كما كان الشيخ أبو الحسن علي اللجائي ، يمشي بعض الأوقات حافيا في الطين في قضاء حوائج المسلمين ، أو في تغيير منكر ، ويدخل مجالس الأمراء بحالته ، فإذا قضي حاجته غسل رجليه وانتعل ، وكان محسوداً فيما سناه الله له من طاعة الأمراء ،وخضوع الوزراء له [٨١]. كما كان الشيخ أبو علي الرجراجي ، لا يرد زيارة السلطان له وكان السلطان يمتثل لما يأمره به من أفعال البر [٨٢].

كما كان الشيخ أبو عبد العزيز الصنهاجي ، من المقربين للسلطان عبد العزيز المريني وكان السلطان لا يرد له حاجة قط ، ولذلك عظم التوسل به إليه في قضاء حوائج الناس [٨٣] (١) ، ومثله الشيخ أبو محمد عبد العزيز الصنهاجي السلاوي الدار، الذي بلغ النهاية في دماثة الأخلاق ، وسهولة الجانب ولين الانقياد للخير ، وإطعام الطعام وبذل الجهد في قضاء حاجات المسلمين عند الأمراء . [٨٤] (٢)

كما روي أن الشيخ ابن عبد الغني نزيل سلا ، والذي كان له زاوية بمقربة من الجامع الأعظم ، والتي كان يأوي إليها الأخيار والمنقطعين للعبادة ، قصد يوماً وزيراً من الوزراء يدعي عمر بن عبد الله بن علي البياني في حاجة ، فأبي أن يقضيها ، وسمع من الوزير ما يكره بسببها ، فخرج عنه وهو يقول : اللهم أرحنا منه ، وكرر ذلك وسمع دعاؤه ، فقتل الوزير بعد أيام [٨٥] [٣].

وإن صحت الرواية ، فهي تصح من باب استجابة الله عزوجل لدعوة المظلوم ، التي ليس بينها وبين الله حجاب ، فقد يكون الشيخ ابن عبد الغني قد قصد هذا الوزير ، لرفع مظلمة عن أحد الناس ، لكنه نهره فدعا عليه فاستجاب الله له . وهذه من احدي الكرامات التي ظهرت في ذلك العصر , والتي وظفت لحماية المستضعفين من جور السلطة , حيث استُغلت لردع أمراء الجور بواسطة الدعاء بالشر [٨٦].

وقصد عامر بن محمد الهنتاني [٨٧] رئيس مراكش ، مدينة سكسوية في جيش يزيد علي ستة آلاف ، فضرب حولها الحصار ، فتدخلت الشيخة الصوفية عزيزة السكسوية ، لتشفع عنده في أهل مدينتها ، وطلبت منه الرجوع ووعدته بطاعة السكسوي له ، فرجع من حيث أتي ، وقبل شفاعتها ، وذلك لما كانت تتمتع به من مكانة كبيرة في هذا المدينة [٨٨].

إذاً لم تكن شفاعة المتصوفة تقتصر علي أشياء وحاجات تخص أشخاص بعينهم ، بل كانت تمتد إلي أكثر من ذلك ، إلي التدخل في شئون السياسة والحروب ، وفض المنازعات ووقف الفتن ، وحقن دماء المسلمين ، وهذا بلا شك هدف نبيل دعم بدوره مكانة الصوفية ، وزادها رسوخا في المجتمع ، بل أنزلهم المجتمع منزلة القديسين المخلصين من الأهوال والويلات ، فكانوا الملجأ للناس في السراء والضراء ، يلتمسون منهم البركة والدعاء ، ويتوسلون بهم إلي السلاطين والأمراء وأولي الأمر.

وروي أيضا أن أحد السلاطين من بني مرين قدم من مدينة فاس يريد نهب مدينة مراكش ، فلما نزل عليها خرج إليه الصوفي سيدي الفلاح وسيدي عبد الله الغزواني ، فرحب بهما السلطان لعلمه بقدرهما ، فأكرمهم واستفهم عن مرادهما فطلبا منه الرجوع عن مراكش ، وأن الله سيعوضه بذلك غنيمة يغتنمها من مكان آخر ، فقبل السلطان شفاعتهما وعاد أدراجه إلي فاس ،فلما كان علي مقربة من فاس ،إذ بعبد من عبيده يخبره بأن أناس قد خرجوا عليه بالمعمورة يطلبون غرة في المسلمين ، عندما سمعوا بخروج السلطان إلي مراكش ، فعكف عليهم السلطان

فأبادهم ، وغنم منهم غنيمة كبيرة ، فسر السلطان سرورا كبيرا ، حتي أنه كان يقف علي سرجه ويقول : ينفعني الله بسيدي المصمودي [٨٩].

كما كان الشيخ أبو جمعة الكواش المطغري ، يستشفعون الناس به عند السلطان في قضاء حوائجهم [٩٠]، ومثله الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي ، كان لا يعارضه أحد إلا أفحمه ، جمع له العلم والعمل ، مع شفقته علي الخلق وقضاء حوائجهم عند السلطان ، والصبر علي أذيتهم ، وضع له القبول والهيبة والإجلال في القلوب ما لم ينله غيره من العلماء ، ومن ورعه أن السلطان كتب إليه في أخذ غلات من مدرسة سيدي الحسن أبركان فامتنع وقال : الولي الحقيقي من لو كشف له عن الجنة وحورها لم يلتفت إليها [٩١].

وتدخل الصوفي الكبير أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي المتوفي عام ٧٧١هـ / ١٣٦٩م [٩٢]، شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية بالأندلس ، لدي السلطان أبي عنان المريني ، ليعفوا عن الشيخ أبو عبد الله الأبلي ، الذي أرسله السلطان إلي الأندلس في سفارة ، فامتنع عن الرجوع ، فغضب السلطان حينها من سلطان الأندلس ابن الأحمر [٩٣]، فأرسل ابن الأحمر وفدا إليه علي رأسه هذا الشيخ الصوفي الجليل ، ليشفع له عند أبي عنان فقبل أبي عنان شفاعته وعفي عنه . [٩٤]

وكذلك كان الشيخ عبد الله بن حمد وهو من شيوخ الأمام القوري ، قال عنه ابن غازي في فهرسته ، كان فقيهاً صالحاً زاهداً ، وكان وزير وقته يعظمه ويقضي له حوائج الناس ، ويقبل شفاعته فيها [٩٥].

وقد ساهم المتصوفة أيضاً علي مستوي العلاقات بين كيانات المغرب الأقصى ، سواء بتكليف قصد عقد صلح ، أو بمبادرة خاصة منهم ، وأشهر الأمثلة علي ذلك سعي الشيخ عبد الرحمن الهزميري لدي السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ، من أجل إيقاف الحصار المشهور حول تلمسان ، الذي بسببه أكل أهل تلمسان الجيف والقطط والفئران [٩٦]، ولكن السلطان رفض شفاعته [٩٧].

وفعل مثله الشيخ أبو هادي [٩٨] المتوفي عام ٧٤٧هـ بتونس ، الذي طلب من السلطان أبي الحسن المريني الرحيل عن أفريقية فلم يقبل منه شفاعته ، مما حدا بهذا المتصوف إلي

الرحيل عنه إلي قسنطينة ، حيث اختلي بنفسه وفارق أتباعه ، بل قيل أنه لازم الخلوة ، من أجل التوجه إلي الله تعالي في هذا السلطان المذكور[٩٩].

علي أية حال علمنا من خلال ما سبق ، كيف وصل الصوفية في عصر بني مرين إلي تلك المكانة التي خولتهم لأن يقتحموا مجالس السلاطين والأمراء ، آمرين لهم بالمعروف وناهين إياهم عن المنكر ، سعيا من جانبهم في إصلاح أحوال المجتمع الذي يعيشون فيه ، عن طريق محاربة الفساد وتوجيه النصح والإرشاد لأولي الأمر.

أما من حيث المعارضة فقد كان للصوفية أيضا في ذلك العصر دورا هاما في تلك المعارضة ، إلا أن معارضتهم للسلطة السياسية لم تتعدي حدود الدفاع عن المظلومين ، فلم تكن معارضتهم من أجل السعي وراء السلطة ، أو حدوث انقلاب في الدولة لصالح جهة معينة ، بل ظل حالهم علي ذلك طيلة الحكم المريني .

ثالثا : دور المتصوفة السياسي " المعارضة "

رغم أن معارضة الصوفية للسلطة السياسية ، كانت في أغلبها ترتبط بدفع جور أو رفع ظلم عن كاهل الناس ، إلا أننا وجدنا الصوفية في بعض الأحيان يتدخلون في أمور سياسية كبيرة ، لكبح شهوة السلطة السياسية في التوسع ومحاصرة البلاد ، وجلب الدمار والهلاك علي الناس ، فقد أزعج كما ذكرنا الشيخ الهزميري ذلك الحصار الفاحش لأهل تلمسان ، والذي جني الخراب والدمار، لدرجة أن أكل الناس الميتة والحيوانات ، بل صار سعر الدجاجة بعشرة دنانير من الذهب [١٠٠]. وهذا ما لا يرضاه الله عز وجل ، لكن السلطة لم تستجب لمطالبه وضربت بشفاعته عرض الحائط .

إذاً لم تكن السلطة السياسية تستجيب لمطالب جميع الصوفية ، ولم تكن معارضة هذا الصوفي تتعدي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رغم أن الواحد منهم كان له من الأتباع والمريدين ، ما يستطيع به القيام بثورة كبيرة ضد السلطة ،لكنهم لم يفعلوا ذلك ، فاقتصرت معارضتهم للسلطة السياسية علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعارض الصوفي أبو محمد عبد الله الصنهاجي والي صنهاجة علي أمر ما ، فزجه ابن البطَّان في السجن احدي عشر يوما [١٠١].

ولما رأي السلطان محمد بن عبد العزيز المريني (٧٧٤- ٧٧٩هـ / ١٣٧٢-١٣٧٧م) تجمع الناس حول الشيخ الصوفي أبو عبد الله الغزواني ، أمر بإحضاره ثم أمر بسجنه ، وجعله في سلسلة ، وبعثه إلي فاس وأوصي به صاحب شرطته . (١٠٢)

كما روي أن السلطان أبا الحسن المريني ، قد أمر الشيخ عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي المتوفي عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م ، أن يخرج مع عامل الزكاة ، فقال له الشيخ : ألا تستحي من الله ، تضع لقب الشريعة علي مغرم من المغارم ، فغضب السلطان وضربه بسكين في يده وهي في غمدها ، وقال له : هكذا تقول لي ؟ فبادر الوزير وأخذ بيده وأخرجه ، إطفاء لغيظ السلطان ، وقام السلطان لداره وقد اشتد وجع يده التي ضربه بها ، فأرسل في طلبه فرده الوزير إليه واعتذر له ، وقال له : طيب نفسك علي قد علمت ما قلت إلا الحق ، فقال له الشيخ : يغفر الله لي ولك وانصرف . (١٠٣)

لقد عارض هذا الصوفي السلطان في إطلاقه كلمة الزكاة علي مغرم من المغارم ، فرضه الولاة المتعسفين علي الناس جورا ، ولم يخش أن يقول الحق أمام السلطان ، وهو يعلم أنه يستطيع التنكيل به ، لكن السلطة السياسية كانت تعي تماما فضل بركتهم ، لذلك كان الواحد منهم يخشى علي نفسه من غضب أحد الصوفية عليه ، ويسارع ويبادر في إصلاح ما أفسده تجاههم.

كما كان الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب من الزهاد الأتقياء ، ولم يكن محباً للسلاطين والأمراء ، كثير المعارضة لهم شديد النفور منهم ، بعث إليه السلطان في أخذ غلات مدرسة الولي الصالح الحسن أبركان ، فأبي وألحوا عليه فاعتذر بكتاب طويل . وخرج يوما فرأي فرسانا بثياب فاخرة علي بُعد ، فقال : من هؤلاء ؟ فقالوا : خواص السلطان ، فتعوذ ورجع من طريق آخر ، وقيل أنهم مروا عليه يوما ولم يستطع الفرار منهم ، فجعل وجهه للحائط وغطاه حتي جاوزوا ولم يروه (١٠٤).

وأراد يوماً أحد وزراء بني مرين أن يغرم ديار فاس ورباعها كما فعل سابقه ، فسمع بذلك الشيخ الصوفي يوسف ابن عمر الأنفاسي ، فتوجه إليه هو وأبو الربيع سليمان والقباب (١٠٥)، فكلماه فقال : إنما أنا متبع فيه من

قبلي ، فقال له أبو الربيع سليمان : أتريد أن تكافئ بما كوفئ به من قبلك ، فقال له : لا يا سيدي ، فقال القباب : فخفت خوفا شديدا حتي كادت الأرض تبلعني ، وحصل للوزير خوفا أشد وأكثر مني رهبة من الشيخ يوسف ابن عمر (١٠٦).

وروي أيضا أن الشيخ الصوفي إسحاق بن يحيي بن مطهر الورياغلي الذي عرف بالأعرج ، لما أكثر في معارضة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ، طرده من بلده فلما خرج أصاب السلطان مرض شديد ، فأمر السلطان برده فقال : لا أدخل حتي يخرج هو ولا نكون أنا وهو في بلد واحد ، فخرج السلطان فسكت عنه الوجع وأمر ببناء المدينة البيضاء (١٠٧).

وإن صحت الرواية فهذا دليل قاطع علي مدي ما بلغ الصوفية من رهبة في قلوب الناس فكون أن سلطان يترك موطنه ويخرج منه لينال رضي هذا الصوفي ، ويأمر ببناء مدينة ليقيم فيها ، فإننا أمام حقيقة كبيرة وهي تمكن حب وخشية هؤلاء الصوفية من قلوب الناس آنذاك .

ولكن ابن خلدون يذكر أن سبب بناء السلطان يعقوب بن عبد الحق لهذه المدينة ، يرجع إلي اتساع نطاق الدولة المرينية ، وكثرة الوافدين علي السلطان ، فرأي أن يختط مدينة جديدة يسكن فيها هو وحاشيته وأوليائه (١٠٨)

كما قام ابن عباد الصوفي الرندي بتوجيه اللوم للسلطان عبد العزيز المريني ، بسبب تعسف ولاته وأمرائه في ظلم الناس ، وفرض المغارم والضرائب والتعرض للمسافرين والتجار ، فحاول ابن عباد أن يكون له دور في إصلاح أحوال المجتمع ، فتوجه برسائل إلي السلطان ، عارضه فيها علي سكوته عن ما يحدث من فساد في الدولة ، مذكراً إياه بسيرة من سبقه من الملوك الصالحين . (١٠٩)

بل روي أن بعض الناس رفعوا للشيخ ابن عباد تظلما من الوالي وتعسفه مع الناس ، فصعد المنبر وخطب بحضرة الوالي ، فقال : من الأمور المستحسنة أن لا يبقي الوالي سنة ، فكان كما قال ، وعمل السلطان برأيـــه (١١٠).

وتجدر الإشارة إلي أن أمراء بني مرين وسلاطينهم ، كانوا يعرفون إلي أي حد يمكنهم أن يوافقوا هوي الصوفية ، وهذا ما يجعلنا نميل إلي الاعتقاد بأن معاملة المتصوفة بهذا الشكل أو

ذاك ، لم تكن مسألة وجدانية أو عاطفية ، بقدر ما كانت تخضع لخدمة أغراض ومصالح الدولة(١١١).

كما أننا نري أن متصوفة المغرب لم يكن لهم طموحات جدية ومباشرة في الفعل السياسي ، من طرف كبار الصوفية المغاربة ، فتتبع المحاولات التي تمت في فترات متفرقة من التاريخ ، يبرز أنها ارتبطت أساساً بمحاولة الخروج من أزمة السلطة ، بمحاولة ملئ الفراغ السياسي ورد الظلم ، أو المساهمة في تنظيم المجتمع ، ويبدو أن سبب هذه السلوكيات من طرف المتصوفة المغاربة ، راجع إلي اشتغالهم أساسا بالتجربة الروحية الأخلاقية .

جملة القول يمكننا أن نقول أن الدور السياسي للمتصوفة خلال هذا العصر كان يقوم علي ثلاث مبادئ

أولاً : مبدأ الولاء للإمامة وهذا المبدأ مشهور عند الصوفية ، ومع ذلك يوجد استثناءات مردها إلي الاستفزاز والحذر ، الذي يجعل الحكام يعملون علي التخلص من القوي السياسية والاجتماعية التي يتقون شرها ، لذلك رأينا كيف نكل بعض السلاطين ببعض رموز الصوفية وزجوهم في السجون .

ثانياً : التوسط بين الحاكمين والمحكومين في سياق علاقات متوترة ، وهو ما عرف بالشفاعة مستغلين مكانتهم الاجتماعية ، وحب وتقدير السلاطين لهم .

ثالثاً : استعمال هيبتهم الدينية في تخفيف تعسفات وجور الولاة ، وتقوية ذلك بأخبار الكرامات ، وهو بلا شك له مفعول السحر في التأثير علي ذوي الجاه .

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد الغرناطي الأندلسي ت (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)

" روضة النسرين في دولة بني مرين " ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ، ١٩٦٢م .

البادیسي ، عبد الحق بن إسماعيل (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)

" المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف " ، تحقيق سعيد أحمد إعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)

" مراصد الإطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي تحقيق علي البجاوي ، دار الجيل , بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

التادلي ، أبو يعقوب يوسف بن يحي كان موجوداً في الربع الأول من القرن ٧هـ/ ١٣م

" التشوف إلي رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي " تحقيق أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م.

التنبكتي ، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد (٩٦٣هـ/ ١٠٥٥م)

" كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج " ، تحقيق محمد مطيع ، وزارة

الأوقاف والشئون الإسلامية ، المغرب، ٢٠٠٠م .

" نيل الابتهاج بتطريز الديباج " ، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م .

ابن الحاج ، إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري (كان علي قيد الحياة عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦م)

" فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلي قسنطينة والزاب " ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٠م .

الحضرمي ، أبو عبد الله عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

" السلسل العذب والمنهل الأحلى " ، تحقيق محمد الفاسي ، مجلة معهد المخطوطات

العربية ، مجلد ١٠ ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م .

الحميري ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)

" الروض المعطار في خبر الأقطار" ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان

بيروت، ١٩٧٥م .

ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

" تاريخ ابن خلدون المسمي العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٠م .

السملالي ، العباس بن إبراهيم المراكشي (كان حياً في القرن ١٣هـ/ ١٩م)

" الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام " ، المطبعة الملكية ،

الرباط ، الطبعة الثانية ، ، ١٤١٣هـ/ ١٩٨٥م .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ت(٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

" لب اللباب فى تحرير الأنساب " ، محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٦١م .

ابن عيشون ، أبي عبد الله الشراط ت ١١٠٩هـ

" الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس " ، تحقيق زهراء النظار ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٧م .

ابن غازي ، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (٩١٩هـ/١٥١٣م)

" الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون " ، تحقيق عطا أبورية ، وسلطان بن مليح الأسمري ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ابن فرحون ، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)

" الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب " ، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

ابن القاضي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن العافية المكناسي الفاسي (١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦م)

" جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس " ، دا المنصور للطباعة والنشر، المغرب ، ١٩٧٣م

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م)

" صبح الأعشا في صناعة الإنشا " ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م .

ابن قنفذ ، أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب (٨١٠هـ/١٤٠٧م)

" أنس الفقير وعز الحقير" ، تحقيق أبي سهل نجاح عوض صيام ،

دار المقطم للطباعة والنشر، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

الكتاني ، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس ت ١٣٤٥هـ

" سلوة الأنفاس ومحادثة الكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس " ، تحقيق عبد الله الكتاني وحمزة بن محمد الطيب ، دار الثقافة ، المغرب ، الطبعة الأولي ، ٢٠٠٤م .

ابن مرزوق ، محمد بن أحمد بن محمد التلمساني (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)

" المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن " ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، د.ت .

ابن مريم ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد (١٠٦٤هـ/١٦٥٣م)

" البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان "، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م .

المقري ، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ/١٦٣١م)

" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيرو ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (٧١١هـ/١٣١١م)

" لسان العرب " ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

الوزان ، الحسن بن محمد الزيات (٩٦٠هـ/١٥٥٢م)

" وصف إفريقيا " ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣م .

الونشريسي ، أبو العباس أحمد بن يحي (٩١٤هـ/١٥٠٨م)

" المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب " ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المغرب ، ١٤٠١هـ/١٩٨٧م .

" وفيات الونشريسي " ، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٦م .

المراجع العربية

التليدي ، عبد الله بن عبد القادر

" المطرب بمشاهير أولياء المغرب " ، الرباط ، ٢٠٠٠م .

حجي ، محمد

" متنوعات محمد حجي " دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٨م.

فتحة ، محمد

" النوازل الفقهية والمجتمع " ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب، ١٩٩٩م.

المراجع الاجنبية

Abdulah Larou : The History of the Maghrib , translated from French by polph Mahhaim (new jersey Princeton University , press , 1977

هوامش البحث

(١) محمد فتحة : النوازل الفقهية والمجتمع " ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب، ١٩٩٩م ، ص١٨٠

(٢)يعقوب بن عبد الحق : يكني أبا يوسف ، أمه الحرة الصالحة أم اليمن بنت مُحلي بويع سنة ٦٥٦ هـ ، وتوفي بالجزيرة الخضراء بالأندلس وهو معسكر للجهاد ، عند الزوال يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من محرم عام ٦٨٥هـ ، ودفن بجامع قصره ثم نقل لبر العدوة فدفن بشالة من سلا ، وله ٧٥ عاماً ودامت دولته تسعة وعشرون عاماً وستة أشهر واثنين وعشرون يوماً .

ابن الأحمر ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، المغرب , ١٩٦٢, ص١٧ – ١٨.

(٣)ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن : تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للطباعة والنشر ، الجزائر ، ص٢٥٢.

(٤)) يوسف بن يعقوب : ابن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن فجوس بن جرماط بن مرين ، يكني أبا يعقوب ، ويلقب بالناصر لدين الله ، أمه أم العز بنت محمد بن حازم العلوي ، بويع في غرة صفر عام ٦٨٥هـ ، وتوفي عام ٧٠٦هـ . وذهب الذهبي إلي أن وفاته كانت في عام ٧٠٧هـ ، وله ستة وستون عام ، ودفن بشالة ، وقيل إنه مات مقتولاً . وكانت دولته واحد وعشرين عاماً وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، كان أبيض اللون ضخم الجسم وكان فارساً شجاعاً عادلاً مهيب السلطان .

ابن الأحمر : المصدر السابق ،ص٢١. وشمس الدين الذهبي ، دول الإسلام ، تحقيق حسن إسماعيل مروة ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩م، ج٢ ،ص٢٤٠. عبد الكبير بن المجذوب : تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين ، من كتاب محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٦م ج٢ ، ص ٥٨١. وتقي الدين المقريزي : السلوك لمعرفة الملوك , القسم الأول ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٤١م ، ص٩ . ولسان الدين ابن الخطيب : رقم الحلل في نظم الدول ، تحقيق عدنان درويش ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٠م ، ص٢٧٠.

Abdulah Larou : The History of the Maghrib , translated from French by polph Mahhaim (new jersey Princeton University , press , 1977) p.205.

(٥)ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص٢٥٢.

(٦)أبو الحسن المريني : علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ، يكني أبا الحسن ولقبه المنصور بالله ، بويع بعد أبيه يوم الجمعة الخامس والعشرين لذي القعدة عام ٧٣١هـ ، وتوفي في ربيع الأول من عام ٧٥٢هـ ، بجبل هنتانة بمراكش ، وله ستون عاماً ودفن بشالة ، ودامت دولته عشرين عاماً وثلاثة أشهر ويومين ، وقيل عشرين عاماً وأربعة أشهر ، وكان طويل القامة عظيم الهيكل حسن الوجه .

ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص٢٥. وابن القاضي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن العافية المكناسي الفاسي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس " ، داالمنصور للطباعة والنشر ، المغرب ، ١٩٧٣م: ، ج٢ ، ص٤٦١ -٤٦٢. العباس بن إبراهيم المراكشي السملالي : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام " ، المطبعة الملكية ، الرباط ، الطبعة الثانية ، ، ١٤١٣هـ / ١٩٨٥م، ج٩ ،ص١٧١. مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية : تحقيق د / سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، المغرب ، ١٩٧٩م ، ص١٧٩.

(٧)عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ج٧، ص٥٢٦

(٨)العُبَّـــاد : مدينة صغيرة تقع في الجبل علي بعد نحو ميل جنوب تلمسان ، وهي كثيرة الأزهار وافرة السكان والصناع ، وبها دفن الولي المتصوف أبو مدين شعيب . الوزان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٤.

(٩)جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطي : ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، منشأة المعارف ، مصر ، ١٩٩١ ، ص٣٣٤

(١٠)محمد القبلي : السلطة والمدارس الصوفية في حياة ابن خلدون ، من كتاب ابن خلدون : البحر المتوسط في القرن الرابع عشر ، الرباط، د.ت ،ص٣٤٢.

(١١)إسحاق بن مطهر الفقيه العالم السراج المنير ، وهو من قبيلة بني ورياغل ومن فخذ بني يملك ، ويعرف في وقته بالأعرج لأنه خرج عليه اللصوص في مسجد من بلاد سدراتة فأصيبت رجله فعرج منها عرجاً شديداً ، وكان شيخه أبو محمد الهسكوري ما لان جانبه قط لسلطان ، ولا تعلق جاهه من باستبطان وهو الذي قال : أن التصوف هو منة ومنة .

عبد الحق بن إسماعيل البادسي : المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد أحمد إعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٨٢، ص١١١.

(١٢)البادسي : المصدر السابق ، ص١١١

(١٣)البادسي : المصدر السابق ، ص١١١.

(١٤)السلطان أبو عنان : المتوكل علي الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ، يكني أبا عنان ، أمه أم ولد رومية اسمها شمس الضحى ، بويع في تلمسان في حياة أبيه يوم الثلاثاء منسلخ شهر ربيع الأول عام ٧٤٩هـ ، ومات مقتولاً خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة مختتم عام ٧٥٥هـ ، وله ثلاثون عاماً فكانت دولته تسعة أعوام وتسعة أشهر ، وقال صاحب الحلل الموشية أن دولته دامت سبع سنين وتسعة أشهر ، ولكن الأصح هو ما ذكرناه أولا ، وكان حافظاً للقرآن عارفاً بناسخه ومنسوخه ، حافظاً للحديث كما كان متشيعاً في حب آل البيت ، موسعاً عليهم في المرتبات .

ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص٢٧. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشا في صناعة الإنشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م ، ج٥ ،ص١٩٩. مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٧٩ . وأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ، دار الثقافة ، المغرب ، ٢٠٠٤م، ج٣ ،ص٢٧٨ ــ ٢٧٩.

(١٥)أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي : السلسل العذب والمنهل الأحلى : تحقيق محمد الفاسي مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ١٠ ، ١٩٦٤ م ص ٥٥.

(١٦)محمد بن أحمد بن الشاطر الجمحي المراكشي ، يعرف بابن شاطر كان مستظرف الشكل مليح الشيبة ، جميل الصورة ، مليح الحديث ، دائم الاسترجاع والاستغفار ، صحب عبد الرحمن الهزميري وابن البناء وغيرهم من المراكشيين ، ووضع له القبول في الأرض فلا تجد من يستسقله وربما سئل عن نفسه فيقول : ولي مفسود ! قال المقري : سمعته يقول : المؤذنون يدعون أولياء الله إلي بيته لعبادته ، فلا يصدهم عن دعائهم ظلمة ولا شتاء ولا طين ، ويصرفونهم عن الاشتغال بما لم يبين لهم فيخرجونهم ويغلقون الأبواب دونهم ، وسمع ابن الشاطر يوماً إنساناً يقول بأن الجنة رخيصة ، فقال : كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول : " إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة " .

السملالي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٧٧ ـ٢٧٩.

(١٧)السملالي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٧٨.

(١٨)كان محمد بن أحمد المقري التلمساني الصوفي ، ذو جاه عظيم عند السلطان أبي عنان ، فكان يحضر مجلس السلطان أبي عنان لمدارسة العلم ، وكان أحد الشرفاء إذا دخل عليهم المجلس قام له الجميع بما فيهم السلطان ، تعظيماً له ما عدي الشيخ المقري ، فقال له هذا الرجلً: لماذا لم تقم لي مثلما يفعل الجميع إكراماً لجدي وشـــرفي ؟ ومن أنت حتي لا تقوم لي ؟ فنظر إليه المقري فقال له : أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب فيه أحد ، وأما شرفك فمظنون ، ومن لنا منذ أزيد من سبعمائة عام ، ولو قطعنا بشرفك لأقمنا هذا من هنا وأشار للسلطان أبي عنان وأجلسناك مجلسه ، فسكت الرجل .

أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج " ، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٤م ، ج٢ ، ص٨٢ .

(١٩)روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٧. ص١٨٤.

(٢٠)أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي ، نزيل سلا الولي الزاهد صاحب الكرامات والمناقب والأحوال الباهرة ، قال عنه الشيخ ابن صعد : كان أحد الأولياء معدوداً في كبار العلماء ، مشهوراً بإجابة الدعاء معروفاً بالكرامات منقطعاً عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من أهل الصلاح ، ملازماً للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا ، منفرداً عن الخلق ، لا يفكر في أمر الرزق ، ممن جمع له العلم والعمل ، شديد الهيبة عظيم الوقار كثير الخشية طويل التفكر والاعتبار ، جعل كتاب إحياء علوم الدين نصب عينيه واتبع ما فيه بجد واجتهاد .

التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ج١ ، ص ٩٢ ــ ٩٥ .

(٢١)ابن القاضي : المصدر السابق ، ج١ ،ص١٥٣.

(٢٢)الكتاني : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٧٨ ــ ٢٧٩ .

(٢٣)نفس المصدر ، ج٣، ص٢٠٤.

(٢٤)) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن غازي : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون " ، تحقيق عطا أبو رية ، وسلطان بن مليح الأسمري ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ١٢٧ . إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلي قسنطينة والزاب " ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص ٢٠٦ ــ ٢١٢.

(٢٥)الجراية : هي من الجاري من الوظائف، وفي الحديث أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أي متصلة كالأوقاف المرصدة لأبواب البر .

ابن منظور : لسان العرب " ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، مج ١ ، ج٩ ، ص ٦١١.

(٢٦)محمد فتحة : المرجع السابق ، ص١٧٩.

(٢٧)تاهرت : بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان، اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب ، يقال لإحداها تاهرت القديمة ، والأخرى تاهرت الحديثة ، وبينها وبين المسيلة ست مراحل ، وهي تقع بين تلمسان وقلعة بني حماد .

صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي : مراصد الإطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي ، تحقيق علي البجاوي ، دار الجيل , بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج١ ص٢٥١.

(٢٨)الوشاية : وشي الكذب والحديث أي رقمه وصوره ، ويقال النمام يشي الكذب ، أي يلونه ويؤلفه ويزينه .

ابن منظور : المصدر السابق ، مج ٦ ، ص٤٨٤٧

(٢٩)ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، ص ٢٥٢ .

(٣٠)اسحاق بن مطهر الفقيه العالم السراج المنير وهو من قبيلة بني ورياغل ، ومن فخذ بني يملك ، ويعرف في وقته بالأعرج ، لأنه خرج عليه اللصوص ليلاً في مسجد من بلاد سدراته حين قراءته فيها ، فأصيبت رجله فعرج منها عرجا شديداً وكان من شيوخه أبو محمد الهسكوري ، عرف عنه أنه لم يلن قط لسلطان ولا تعلق جاهه من بشيء من عرض الدنيا .

عبد الحق بن إسماعيل الباديسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف " ، تحقيق سعيد أحمد إعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١١٠.

(٣١)نفس المصدر، ص١١١.

(٣٢)ابن مرزوق، المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

(٣٣)السملالي ، المصدر السابق، ج٢ ، ص٢٠٣ .

(٣٤) ولا شـــك في أن هذه الرواية غير صـــحيحة ، إذ لا يعلم الغيب إلا الله ، والموت من الأمور الغيبية التي لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فمن أين علم ابن البناء هذا الأمر الغيبي ، الذي هو من علم الله وحده.

(٢) هو أبو حفص عمر بن موسي بن محمد الرجراجي ، نزيل فاس الخطيب بجامع الأندلس ، وهو من الفقهاء الصـالحين والعلماء العاملين ، حج ولقي الأكابر والعلماء ، وتوفي عام ٨١٠ هـــ ، وكان كثير الخلوة ، يلبس الثياب الخشـنة ، وكان عيشـه من حبك البرانس ، وكان السـلطان يزوره ويعظمه ، وتفقد أمر القضاء وأصحاب الأحباس وصارت العامة تحت طاعته .

الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج٣، ص ٧٩ ــ ٨٠.

(٣٥)نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٧٩ .

(٣٦)أبو زيد عبد الرحمن الجزولي : الشيخ الفقيه الحافظ شيخ الرسالة والمدونة ، كان علامة في المذهب ورعاً صالحاً ، أخذ عن أبي الفضل بن راشد ، وأبي عمران الجورائي وأبي زيد الرجراجي, وكان للناس احتفال بمجلسـه للأخذ عنه , وكان معمراً وما قطع التدريس علي ضـعفه ، توفي عام ٧٤١هـــ علي أثر سقوطه من علي دابته ، عندما خرج ليقابل السلطان أبي الحسن المريني خلال عودته من وقعة طريف .

التبكتي : نيل الابتهاج , ج١ ، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٣٧)ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص١٥٥.

(٣٨)نفس المصدر السابق ، ص١٤٥.

(٣٩)نفس المصدر : ص١٥٦.

(٤٠)نفس المصدر ، ص١٥٦.

(٤١)نفس المصدر : ص ١٥٧ ــ١٥٨ .

(٤٢)التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج١ ، ص٢٦٥ - ٢٦٦ ، وعبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج٢ ، ص ٥٥٢ .

(٤٣)ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص١٥٨ .

(٤٤)برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب " ، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص ٢٥٠ .

(٤٥)ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص١٥٨ . ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ج١ ، ص٢٣٠.

(٤٦)أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير ، تحقيق أبي سهل نجاح عوض صيام ، دار المقطم للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ،ص ٨٦ .

(٤٧)ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص١٦٣.

(٤٨)محمد بن موسي الحلفاوي : أبو عبد الله الإشبيلي نزل مدينة فاس ، وكان له إذن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أخذ التصوف عن يعقوب الزيات الفاسي ، وكان ممن له قدم في الطريقة صاحب صدقات ومكاشفات وكرامات ، حافظا للقرآن ولكثير من الأحاديث ، ذاكرا للفقه باحثا في مسائله ، توفي بفاس عام ٧٥٨ هـ .

الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج٣ ،ص ٣٤٦ .

(٤٩)أبو عبد الله عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي : السلسل العذب والمنهل الأحلى " ، تحقيق محمد الفاسي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ١٠ ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م: ص٥٥

(٥٠)ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص ٤٢ . والتنبكتي : نيل الابتهاج ، ج١ ، ص ٩٢ . والتليدي ، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، ص١٣٦.

(٥١)إبراهيم حركات : الحياة الدينية في عهد بني مرين ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثاني ، ص ٩ – ١٠ .

(٥٢)الحضرمي : المصدر السابق ، ص٤٠ . وابن القاضي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٣ .

(٥٣)محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي : صحب أبا زيد الهزميري كثيرا وابن البناء ، ورزق بصحبة الصالحين سئل يوما عن نضارة الأطفال ، فقال : لقرب عهدهم بالله , فقيل : ففيم تغير الشيوخ ؟ فقال : من بُعد العهد من الله وطول صحبة الشياطين فقيل : ففيم نتن أفواههم ؟ قال : من كثرة ما تفل الشيطان فيها ، وقيل أنه كان حيا عام ٧٥٧هـ .

التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج٢ ، ص ٧٢ .

(٥٤)السملالي : المصدر السابق ،ج٤ ، ص ٣٧٨ .

(٥٥)السملالي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٧٨ . أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج٥ ،ص ٢٧٢.

(٥٦)محمد القبلي : السلطة والمدارس الصوفية في حياة ابن خلدون من كتاب ابن خلدون والبحر المتوسط في القرن الرابع عشر " ، الرباط ، د.ت ص ٣٤٤.

(٥٧)جامع القرويين : كان موضع جامع القرويين أرضا بيضاء يعمل بها أصناف الجص ، وبها أيضا أصناف من الشجر لرجل من هوارة ، كان قد حازها والده من قبله حين بنيت المدينة ، فأتي وفد القيروان إلي إدريس في جمع كثير بعيالهم ، فأنزلهم حوله بعدوة القرويين ، وكانت فيهم امرأة صالحة اسمها فاطمة ، وتكني أم البنين بنت محمد الفهري ، أتت من افريقية مع أختها وزوجها ، فسكنوا بالقرب من موضع الجامع المذكور ، فتوفي زوجها وأختها فورثت منهما مالا جسيما حلالا طيبا ، فأرادت أن تصرفه في وجوه البر ، فعزمت علي بناء مسجد تجد ثوابه في الآخرة ، فاشترت موضع القرويين ممن كان حازه ، ودفعت إليه المال ، ثم شرعت في حفر أساسه وبنائه ، وذلك في يوم السبت مستهل رمضان سنه ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ، وجعلت طوله من الغرب إلي الشرق ١٥٠ شبرا ، وبنت فيه صومعة مرتفعة بموضع القبلة . وابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط ، ١٩٧٢ م ، ص٥٤ ـ٥٥.

(٥٨)ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص١١٧ . أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان "، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م ، ص٢٩٨ ــ ٢٩٩.

(٥٩)ابن قنفذ : المصدر السابق، ص١١٩

(٦٠) ابن قنفذ : المصدر السابق، ص١١٩

(٦١) نفس المصدر والصفحة .

(٦٢)السماع : يري أئمة الصوفية أن السماع استجمام من تعب الوقت ، وتنفس لأرباب الأحوال ، واستحضار الأسرار لذوي الشواغل ، ومعني ذلك أنه لا يسمع إلا في حالة الوجد ، وهو غالبا ما يكون في مجالس الذكر عند الصوفية . وعن مشروعية السماع يقول الإمام الغزالي : " أنه مباح ومحرم إذا كان المنشد امرأة ، والثاني أن يكون صبيا ، والثالث إذا كان في الشعر فحش وهجاء ، والرابع أن تكون الشهوة غالبة عليه ، والخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ، ولم يغلب عليه حب الله " وعن تعريف السماع قال ذو النون المصري : " السماع وارد حق جاء يزعج القلوب إلي ربها ، فمن أصغي إليه بحق تحقق ، ومن أصغي إليه بنفس تزندق " ، وقال عنه شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام : " إن سماع الإنشاد المحرك للأحوال السنية المذكر بما يتعلق بالآخرة فلا بأس به بل يندب إليه عند الفتور والسآمة " .

كما كان الشافعي لا يحرمه ويجعله في العوام مكروها حتي لو احترق بالغناء ، واتصف علي الدوام بسماعه علي وجه النهي ، وقال أيضا : " إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ، فمن استكثر فيه فهو سفيه ترد شهادته " .

وقد قسم الفضيل بن عياض أهل السماع علي طبقات ثلاث ، طبقة العوام وهم من يحرم عليهم السماع لعدم مجاهداتهم وغفلة القلب ، وطبقة المريدين المبتدئين مكروه لهم السماع خوفا عليهم من بقاء نفوسهم فيه ، وهذا ما يوضحه في قوله السماع علي العوام حرام لعدم مجاهداتهم ، وعلي المريدين مكروه لبقاء نفوسهم ومباح للعارفين لصدق قلوبهم . ويقول ابن الجوزي أيضا : أنه إذا كان المسموع معني شريفا بصوت لذيذ ، حصل للقلب حظه ونصيبه من إدراك المعني ،

وهذا لا يحصل إلا عند سماع كلام الله ، وحرام علي قلب تربي علي غذاء الشيطان ، أن يري شيئا من ذلك .

وقال الهروي : السماع حقيقة الانتباه ، وهو علي ثلاث درجات ، الأولي سماع العامة ، وهو ثلاثة أشـــياء : إجابة زجر الوعيد من الورع رعة ، وإجابة دعوة الوعد جهرا ، وبلوغ مشـــاهدة المنة استبصارا .

والدرجة الثانية : سماع الخاصة ، وهو ثلاثة أشياء شهود المقصود في كل رمز ، والوقوف علي الغاية في كل حس ، والخلاص من التلذذ بالتفرق .

والدرجة الثالثة : سماع خاصة الخاصة وهو سماع يغسل العلل عن الكشف ، ويصل الأبد إلي الأزل ، ويرد النهايات إلـــــي الأول .

أبو بكر عبد الله بن شـــاهاور الرازي ، منارات الســـائرين ومقامات الطائرين ، تحقيق ســـعيد عبد الفتاح عاشـــور ، الكويت ، ١٩٩٣ م . ص ٥٢٥ ــ ٥٣٢ . و محمد الشـــاذلي التونســـي : فرح الأسماع برخص السماع ، تحقيق د. محمد الشريف الرحموتي ، بيروت ، ١٩٨٥م, ص ١١١ . والهروي إبراهيم الأنصـــاري :" كشـف القناع عن حكم الوجد والســماع : تحقيق ودراســة قســم التحقيق بدير الآباء الدومينكيين ، دار الصـــحابة للتراث بطنطا ، ١٩٩٢ م ، ص٢٦ . وابن القيم الجوزية : حكم الإســـلام في الغناء : تحقيق أبي حذيفة إبراهيم ابن محمد : طنطا ، ١٩٨٥م ، ص١١ . وابن القيم الجوزية ، مدارج الســـالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نســـتعين ، تحقيق ، رضوان جامع رضوان ، ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ج٢, ص ١٣٥ . وأبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي : منازل السائرين إلي الحق عز شأنه ، القاهرة ، ١٩٦٦م . ص ١٠. وحسن شرقاوي : معجم ألفاظ الصوفية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص١٧٦ ــ ١٧٧

(٦٣) ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص ١٢٣ . أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد التنبكتي : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج " ، تحقيق محمد مطيع ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المغرب، ٢٠٠٠م ، ج٢ ،ص ١١٠.

(٦٤)ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص١٢٨ .

(٦٥)ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ٣٢ -٣٣ .

(٦٦)أحمد بن الحســـن الغماري : الولي الكبير الشـــأن ذو الكرامات الظاهرة ، أبو العباس توفي بتلمسان ثاني عشر من شوال سنة ٨٧٤هـــ , ودفن بخلوته شرقي الجامع الأعظم منها وقد أخذ عنه الإمام أحمد زروق .

التنبكتي : نيل الابتهاج ، ج١ ، ١٢٦ .

(٦٧)ابن مريم : المصدر السابق ، ص٣٢ -٣٣ .

(٦٨)نفس المصدر , ص٨٨.

(٦٩)وهران : مدينة كبيرة بناها الأفارقة الأقدمون علي شـــاطئ البحر المتوســـط ، بعيده بنحو مائة وأربعين ميلا من تلمسان ، يقع جزء من المدينة في السهل ، والجزء الآخر في جبل شديد الارتفاع ، وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة .

الحسن بن محمد الزيات الوزان : وصف إفريقيا " ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣م ، ج٢ ، ص٣٠.

(٧٠)محمد بن عمر الهواري : الشيخ الولي الصالح العارف بالله القطب أبو عبد الله ، كان كثير السياحة شرقا وغربا برا وبحرا ، أخذ بفاس عن موسي العبدوسي والقباب ، سافر من فاس الي المشرق للحج ، فدخل مصر فلقي من بها وأخذ عنهم كالقرافي ، وجاور مدة بالحرم الشريف بين مكة والمدينة ، ثم سافر للقدس وجال في بلاد الشام ، ثم استقر بوهران بعد ذلك ، كان أكثر كلامه في مجالسه التبشير بسعة رحمة الله وعفوه ، أخذ عنه إبراهيم التازي ، وتوفي بوهران عام ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م .

ابن مريم : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ . وأحمد بن يحيي الونشريسي ، وفيات الونشريسي : من كتاب محمد حجي موسوعة أعلام المغرب ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ج٢ ،ص ٧٥٠ . وأحمد بن القاضي ، لقط الفرائد ، من كتاب محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، المغرب ، ١٩٩٦م ، ج٢ ،ص ٧٥٠.

(٧١)ابن مريم : المصدر السابق ، ص ٢٢٨.

(٧٢) ابن مريم : المصدر السابق ، ص٢٣١ ــ ٢٣٢ .

(٧٣) ضريبة الرتب بضم الراء وفتح التاء ، من الضرائب التي كانت معروفة في أواخر عصر بني مرين ، والتي كانت تأخذ من المسافرين ، وقد ذكر ابن مرزوق أن السلطان أبي الحسن المريني قام بإنشاء خيام علي طول طرق المسافرين بين فاس وتلمسان ومراكش ، وأن هذه الخيام كانت تعرف بالرتب ، وكانت هذه الرتب معدة ومزودة بالمؤن من طعام وشراب لاستضافة المسافرين ، وبعد ذلك وفي فترات الاضطراب في أواخر عصر بني مرين صارت هذه الرتب مراكز للحكومة المركزية لجباية الضرائب من المسافرين ، ولذلك أطلق عليها ضريبة الرتب .

ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص ٤٢٩.

(٧٤) محمد حجي : متنوعات محمد حجي ، مقالة للدكتور رشيد السلامي : رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي ، بيروت ، ١٩٩٨م , ص٥٠٢

(٧٥)محمد حجي : متنوعات محمد حجي ، مقالة للدكتور رشيد السلامي : رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي ، بيروت ، ١٩٩٨م، ص ٥٠٦

(٧٦)نفس المرجع ، ص ٥٠٨ .

(٧٧)ابن مريم : المصدر السابق ، ص٣٠.

(٧٨)الباديسي : المقصد الشريف ، ص ١١٥ , ١١٦.

(٧٩)ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص ٨٤.

(٨٠)نفس المصدر : ص ٨٥ .

(٨١)ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص ١٢٠. والكتاني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٤٦ .

(٨٢)ابن قنفذ : المصدر السابق : ص١٢٢. التنبكتي ، كفاية المحتاج ، ج١ ، ص ٣٢٥ .

(٨٣)ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص١٢٨ .

(٨٤)الحضرمي : المصدر السابق ، ص٤٩.

(٨٥)ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص١٢٩..

(٨٦)إبراهيم القادري : الإسلام السري في المغرب العربي ، القاهرة ، سينا للنشر ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٥ , ص١٤٤..

(٨٧)الهنتاني : بالكسر والسكون : نسبة الي هنتانة قبيلة من البربر بالمغرب .

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : لب اللباب فى تحرير الأنساب " ، محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٦١م ، ج٢ ، ص ٣٣٠.

(٨٨)ابن قنفذ : المصدر السابق : ص ١٣٢..

(٨٩)السملالي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨.

(٩٠)ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٩١)نفس المصدر : ص٢٤٠.

(٩٢) محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي السلمي أبو البركات ، شهر بابن الحاج المري ، من ذرية العباس بن مرداس الصحابي ، قال عنه ابن خلدون : شيخنا شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس ، وسيد أهل العلم بإطلاق ، وكان علي جلالته وتبحره في فنون المعارف ، شاعراً وأديباً بارعاً وخطيباً مفوهاً ، له ديوان شعر كبير سماه " العذب والأجاج من شعر أبي البركات بن الحاج " وفيه يقول

إذا أظمأتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعاً وريًّا

توفي مع زوال شمس يوم الجمعة أواخر شهر رمضان من عام ٧٧١ه عن عمر يناهز تسعين عاما .

التنبكتي المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٥ .

(٩٣)ابن الأحمر : هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ، ولي بعد مقتل أخيه بوادي السقالين من ظاهر الجزيرة الخضراء ، واتفق الناس علي بيعته ، وكانت سنه يومئذ قد توسطت من المراهقة ، إلا أنه لم يظهر ذلك بعد عليه لحيائه ، وكان لأول أمره كثير الصمت ، كما كان من جلة الملوك فضلا وعقلا واعتدالا ، وتوفي مقتولا علي يد رجل كمن له في صلاة عيد الفطر من عام ٧٥٥هـ ، فطعنه بسكين في يده فمات ، وولي بعده ولده محمد .

لسان الدين ابن الخطيب : أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام : تحقيق ليفي بروفنسال , دار المكشوف ، بيروت، ١٩٥٦م ، ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥ .

(٩٤)ابن خلدون : العبر ،ج٧ ، ص٥٣٦. و ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤ -٣٠٥.

(٩٥)التنبكتي : نيل الابتهاج ،ج١ ،ص ٢٤٧.

(٩٦)لقد بلغ الجهد بأهل تلمسان في هذا الحصار مبلغه ، حتي اضطروا إلي أكل الجيف والقطط والفئران ، وأكلوا أشلاء الموتي ، وخربوا السقوف للوقود ، وغلت اسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق ، فكان ثمن مكيال القمح وقدره اثنا عشر رطلاً ونصف مثقالين ونصف من الذهب ، وثمن الواحد من البقر ستين مثقالاً ، ومن اضأن سبعة مثاقيل ونصف ، والرطل من الجلد البقري بثلاثين درهماً ، والقط بمثقال ونصف ، والكلب بمثله ، والفأر بعشرة دراهم ، والحية بمثل ذلك ، والبيضة بستة دراهم .

الناصري ، الاستقصا ، ج٣ ،ص ٨٦.

(٩٧)أبي عبد الله الشراط ابن عيشون : الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس " ، تحقيق زهراء النظار ، ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٧م ، ص ٢٠٨ . والتنبكتي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٦٣.

ومحمد فتحة ، المرجع السابق ، ص ١٦٧.

(٩٨)هو الشيخ مصباح بن سعيد الصنهاجي ، ويكني أبو هادي توفي بقسنطينة عام ٧٤٧هـ ، ودفن بزاوية بها .

أحمد بن قنفذ : شرف الطالب في أسني المطالب ، من كتاب محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ج٢ ، ص٦٤٤. وابن القاضي لقط الفرائد ، من كتاب محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، ج٢ ،ص٦٤٥.

(٩٩)محمد فتحة : المرجع السابق ، ص١٦٧.

(١٠٠)الكتاني : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٠.

(١٠١)ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص ١٣٢.

(١٠٢)نفس المصدر ، والصفحة .

(١٠٣)التنبكتي : كفاية المحتاج ، ج١ ،ص ٢٨٩ . ابن عيشون ، المصدر السابق ، ص٢٩٠.

(١٠٤)التنبكتي : المصدر السابق ، ج٢، ص٢٠٢. وابن مريم : المصدر السابق ، ص ٢٤١.

(١٠٥)أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن شهر بالقباب ، هو الإمام الحافظ العلامة الصالح الزاهد ، أحد محققي المتأخرين ، تولي الفتيا بفاس ، وهو أول من نقل الونشريسي عنه في المعيار ، وهو فقيه نبيه جيد النظر ، سديد الفهم ، ولي قضاء جبل الفتح ، ودخل غرناطة عام ٧٦٢ه موجهاً من قبل سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن المريني ، وله شرح حسن علي قواعد عياض ، وشرح بيوع ابن جماعة ، وكتاب أحكام النظر لابن القطان ، وتوفي عام ٧٧٩ه.

التنبكتي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٠٠.

(١٠٦)ابن مريم : المصدر السابق ص٢٩٩

(١٠٧)ابن عيشون ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩.

(١٠٨)ابن خلدون : المصدر السايق ، ج٧ ، ص ١٩٥.

(١٠٩)محمد حجي ، المرجع السابق ، ص ٥٠٤.

(١١٠)أبو علي الحسن بن محمد بن القاسم الكوهن ، طبقات الشاذلية الكبرى ، تحقيق محمود الجمال ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٠٤.

(١١١)محمد فتحة ، المرجع السابق ، ص ١٨١.